موقف السلطات الحاكمة في ليبيا من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في ليبيا في الفترة ما بين "1798- 1923م"

د. ميلاد امحمد الزليتني

جامعة مصراتة

تمهيد:

كان موقف السلطات الحاكمة سواء الباشوات القرمانليين[1] "179-1835م" أو الولاة العثمانيين "1835-1911م" أو الحكام الإيطاليين "1911-1923م" أحد العوامل الرئيسية في نجاح أو فشل هؤلاء الرحالة في مهماتهم وتحقيق أهدافهم السرية والعلنية، فقد اختلف مستوى التعاون من فترة إلي أخري حسب الظروف الدولية السائدة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وقوة الدولة وفرض هيبتها على الأراضي الليبية في الأقاليم الثلاثة، وهذا ما سنتناوله في هذا البحث المتواضع بالتفصيل أو متصلاً من كتابات هؤلاء الرحالة سواء العرب أو الأوربيين على النحو الآتي:

أولاً : موقف الحكّام القرمانليين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في الفترة ما بين "1798-1835م":

في أواخر العهد القرمانلي كان التعاون واضحًا مع العديد من الرحالة العرب والأوروبيين في فترة ساد فيها الضعف السياسي والاقتصادي[2] في ليبيا تحت حكم يوسف

1- الأسرة القرمانلية: يرجع أصل هذه الأسرة إلى مدينة قرمان بالأناضول، قدم جدهم مصطفى القرمانلي إلى طرابلس زمن ولاية الوالي العثماني درغوت باشا "1553-1565م". شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983م، الطبعة الثانية، ص349.

2- ساد الضعف السياسي في ليبيا في أواخر عهد الأسرة القرمانلية "1711-1835م" نتيجة الصراع على السلطة بين أبناء الباشا علي بن محمد بن أحمد باشا القرمانلي "1754-1793م"، واستيلاء المغامر علي برغل على السلطة في طرابلس نتيجة هذه الضعف، والثورات الشعبية في الجبل الغربي وفزان وسرت،

باشا القرمانلي[1] "1795-1832م" ولكن هذا التعاون لم يكن مطلقًا أو مستمرًّا أو تعاونًا مع الرحالة خاصةً الأوروبيين على قدم المساواة.

فبالاطلاع على عدة رحلات أوروبية وعربية يتضح أن موقف حكّام الأسرة القرمانلية[2] في أواخر عهدها كانوا متعاونين مع أغلب الرحالة بعدة وسائل، منها: الحماية المباشرة أو برسائل التوصية لشيوخ وأمراء القبائل الليبية في الدواخل الليبية، التي كانت تحت سيطرتهم أو لهم صداقات وعلاقات مع هؤلاء الحكّام، وأول الرحالة الذين كان موقف القرمانليين منهم إيجابيا الرحالة دومنيجوباديا[3].

كذلك سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة المجاعات والطاعون في طرابلس "1767-1784م"، ومحاربة الدول الأوروبية لنشاط القراصنة الليبيين في البحر الأبيض المتوسط.

1- يوسف باشا القرمانلي"1795-1832م": هو الباشا يوسف باشا بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف القرمانلي، الذي حكم ولاية طرابلس الغرب بعد صراع بينه وبين إخوته، وقد تحدث عنه الأسباني دومينجو باديابيا ليبلك على العباسي الذي كان في طرابلس في سنة "1805-1806م". رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1961م، ص132.

2- فقد أشارت المصادر الأوروبية إلى تعاون باشوات الأسرة القرمانلية والعثمانيين وتقديم الحماية والأمن وقدموا الحراسات المسلّحة وخطابات التوصية إلى حكّام بلاد الجنوب. رولاندو أوليفرأ، أنتوني أتمور، أفريقيا مند عام 1800م، ترجمة فريد جورج بوري، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص57.

3- الرحالة دومينجو باديا ليبليك "1768-1818م": هو رحالة أسباني يعرف بالرحالة الأمير "علي بك العباسي" ولد في سنة 1768م في مدينة لشبونة، أمه من أصول بلجيكية وتوفي في 28 أغسطس سنة 1818م، ودفن في قلعة البلقاء في الجنوب الشرقي من الأردن عندما كان في رحلة نحو مكة المكرمة، تعلم اللغة العربية والعديد من اللغات الأجنبية، قام بعدة رحلات عبر شمال أفريقيا وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، منها: مدينة طرابلس. قاسم الجميلي، صفحات من تاريخ ليبيا، الحديث والمعاصر، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م، ص176، كذلك خالد محمد الهدار، زيارة الرحالة الأسباني علي بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة والعشرين، العددان الأول و الثاني، مسلسل 49-50، طرابلس، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، 2003م، ص78.

فقد أشار إلى الحفاوة التي استقبل بها من قبل يوسف باشا[1] أثناء وجوده في طرابلس، كما ذكر الرحالة الإيطالي باولوديلا شيلا[2] في سنة 1817م أنه لولا موقف يوسف باشا القرمانلي منه بأن سمح له مرافقة الحملة العسكرية على إقليم برقة بصفته طبيبه الخاص والسماح له بزيارة عدد من قرى ومناطق في الجبل الأخضر لما استطاع تحقيق هدفه من رحلته إلى ليبيا، وقد أشار إلى ذلك هذا الرحالة في رحلته بقوله: ((ولهذا فأنا في غاية السرور والفرح لأن أملي سيتحقّق قريبًا بمصاحبة الحملة العسكرية إلى برقة، مما سيوفر لى عامل الحماية وهو مالا يمكن تحقيقه بدون مصاحبة هذة الحملة العسكرية الكبرى))[3].

وقد أشار الرحالة الفرنسي باشو[4] إلى موقف القرمانليين من الرحالة ديلا شيلا، وأنه ظفر بالحماية والسلامة من خطر القبائل التي كانت في حالة عصيان وتمرّد على السلطات

1- رحلة دومينجو باديا أو "علي بك العباسي" وهو الذي زار ليبيا في سنة 1805م في أيّام حكم يوسف باشا القرمانلي، والذي كان موقفه وديًّا من هذه الرحالة، وقد أشار إلى ذلك الرحالة بنفسه في رحلته بقوله: ((لقد اتّسم المثول بين يديه بآلهيته، وجرى في صالة رحبة)) وأظهر لي أدبًا جمًّا وشتى أنواع الحفاوة. قاسم الجميلي، السابق ص153.

2- ياولو ديلاشيلا "1792-1854م": هو الرحالة الإيطالي الدكتور باولو ديلا شيلا، ينتمي إلى أسرة نبيلة ولد في بلدة كاباني في 13 يونيو عام 1792م، وتوفي في جنوه في 22 مايو عام 1854م، درس الطب والتاريخ الطبيعي، قام برحلة إلى إقليم فزان "1817-1818 م" برفقة يوسف باشا القرمانلي. أتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب خليفة محمد التليسي، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984، ط: 2، ص15. كذلك جولات في شمال أفريقيا، جيمس هاملتون، ترجمة: المبروك محمد الصويعي، طرابلس، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، ص21.

3- باولو ديلا شيلا،أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة، 1817م، بنغازي، جامعة قار يونس، "د.ت"، ص8.

4- جان باشو "1794-1829م": هو الرحالة الفرنسي جانريمون باشو، ولد في مدينة نيس في 3 يناير سنة 1794م وتوفي في باريس يوم 26 يناير 1829م، عاش في إيطاليا وفرنسا ومصر، قام برحلة وحيدة عبر الأراضي الليبية إلى إقليم برقة "1822-1823م" كتب رحلته وأطلق عليها "رواية إلى مرمرة وقورينا وواحتي أوجلة ومرادة". أتيليو موري، السابق ص33.

في طرابلس، وكذلك الصراع بين أبناء الأسرة نفسها بقوله: ((قام الدكتور ديلا شيلا بمرافقة الباشا في حملة الباشا الثانية سنة 1817م ليظفر بالحماية))[1].

وقد أشار إلى الحماية المباشرة للرحالة من قبل هؤلاء الحكّام الرحالة نقيب ع. ف ليون[2] في سنة 1818م في كتابة "مدخل إلى الصحراء" بقوله: ((إن يوسف باشا القرمانلي، قد أقر بأنه سوف يتولى حماية قافلتنا المتجهة إلى أفريقيا، كذلك سلطان فزان محمد المكني الذي وعد بتقديم الحماية اللازمة في الأراضي التابعة له))[3]، وعلى الأرجح فإن هذه التسهيلات والموقف المتساهل من هؤلاء الحكام كان نتيجة للضغوط الأوروبية خاصة من إنجلترا، فقد تورط الباشا يوسف معها في ديون كثيرة، و لم يستطع تسديدها نتيجة تدهور الاقتصاد وانخفاض تجارة القوافل ومحاربة الدول الأوروبية للقرصنة.

ومن هذه الرحلات يتضح أن التعاون مع الرحالة خاصة الإنجليز كان واسعًا، فقد أشار الأخوان بيشي إلى موقف يوسف باشا من الرحالة الإنجليزي سميت حول اقتراحاته دراسة الشواطئ الليبية والآثار بقوله: ((اقترح الربان سميت لما لمسة في باشا طرابلس من رغبة صادقة في التعاون مع الدارسين الإنجليز للتحرك في مملكته الممتدة ما بين طرابلس وانتهاء بحدود درنة الشرقية كثمرة للمودة، والتي جمعت بينه وبين سيد البلاد وصديقه القنصل العام

1- رواية إلى مرمرة وقورينا وواحتي أوجلة ومرادة، جان ريمون باشو، تعريب مفتاح المسيوري، بيروت، دار الجيل، 1999م، ص24.

2- ع.ف.ليون "1799-1832م": هو الرحالة الإنجليزي فرانسيس ليون ولد في إنجلترا سنة 1795م وتوفي في عام 1832م، كان يعمل عسكريًّا في البحرية الإنجليزية، ثم عمل في المكسيك ومناجم جنوب أمريكا، كتب عن رحلته تقرير بعنوان تقرير الرحلات في الشمال الأفريقي في السنوات "1818-1819م".

John Wright , Anarrative of Travels in Nortern Africa in the years "1818 – 1820", Siphium press , 2005 , p.82.

3- ع.ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993م، ص17.

الإنجليزي وارنجتون في طرابلس))[1]، ولكن هذا الموقف والتعاون مع هذا الرحالــة أدَّى إلى نتائج سلبية على تاريخ ليبيا، حيث قام سميت بسرقة العديد من الآثار، الرومانية والإغريقية.

كذلك لقي الرحالة الإنجليز كلابرتون[2] ودنهام[3] وأدني[4] تعاونًا من قبل يوسف باشا في رحلتهم من طرابلس إلى أواسط أفريقيا في سنة "1822-1825م"، وقــد أشــار

1- القنصل هانمر وارنجتون "1778-1848م": هو العقيد وارنجتون ولد في سنة 1778م، اشتهر بالعقيد وارنجتون، أصبح قنصلاً عامًّا في طرابلس 1814م، توفي يوم 17 أغسطس 1848م. رحلتان عبر ليبيــا، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1974م، ص208-209، وقد قام هذا القنصل بزيارة لإقليم برقــة لغــرض الاطلاع على المعالم الأثرية في سنة 1826م. ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي، 1989، ص167. ينظــر الأخــون بيشــي والساحل الليبي "1821-1822 م"، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، قار يونس، 1996 م، ص7.

2- كلابرتون "1788-1827م": هو الكابتن الأسكتلندي ولد بمدينة أنان بمقاطعة زمفرز شاير 1788 م، وتوفي أثناء رحلته في غرب أفريقيا، عمل في البحرية التجارية الإنجليزية قام برحلــة مــن طــرابلس إلى مرزق، ثم إلى سوكوتو "1822-1825م.

,John Wright ,Travilers in Libya ,siphium press, 2005 p.100. Op. Cit. P. 100

رحلة لاستكشاف أفريقيا، دنهام وكلابرتون وأودني،ترجمة عبد الله عبد الــرزاق إبــراهيم، الجــزء الأول، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002م، ص7.

3- دنهام "1786-1828م": هو الميجر ديكسون دنهام، ولد في إنجلتر في الأول من يناير 1786م، توفي في مدينة فريتاون بالحمى الأفريقية في سنة 1828م، عمل محاميا في لندن، ثم عسكريًّا في الجيش الإيطــالي، قام برحلة من طرابلس إلى مرزق، ثم إلى سوكوتو 1822-1825م، جيمس ويلللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967م، ص231.

4- أودني "1790-1824م": هو الرحالة الأسكتلندي والتر أودني، ولد في مدينة أدنبره عــام 1790م وتوفي في 12 يونيو 1824م وهو في طريقه إلى السودان، اشتغل جراحًا في الجيش الإنجليزي، قام برحلــة مع دنهام وكلابرتون من طرابلس إلى سوكوتو 1822-1825م. جيمس ويلــلارد، الســابق ص321،

الميجور دنهام إلى موقف هذا الباشا بقوله: ((أخدنا إلى قاعة المقابلات، حيث استقبلنا الباشا وأمر بتقديم الشربات والقهوة لنا وعبر عن تأييده الكامل للموضوع الخاص بمهمتنا))[1]، بل أن يوسف باشا وعد هؤلاء الرحالة بقوة مسلحة[2] في الطريق الصحراوي، كذلك فإن هذه الرحلة حظيت بموقف مملكة وداي في طرابلس وفي بورنو[3].

موقف الحكام القرمانليين الودي من الرحالة الأوروبيين في بداية القرن التاسع عشر، ولم يكن محصورًا في الرحالة الإنجليز والإيطاليين، بل الرحالة الفرنسيين كذلك. فنتيجة لتوصيات يوسف باشا القرمانلي بالمعاملة الحسنة للرحالة الفرنسي جان ريمون باشو ومساعدته في القيام برحلة في أنحاء إقليم برقة في سنة 1824م، كان موقف قائمقام درنة وديًّا ومتعاونًا[4].

كذلك رحلة إلى الكفرة، جيرالد رولفس، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م، ص537.

1- رحلة لاستكشاف أفريقيا، الجزء الأول، السابق ص18.

2- فقد وعد يوسف باشا القرمانلي الرحالة دنهام وزملائه بتقديم قوة مسلحة بعد ما تعرض الرحالة لهجمات قطاع الطرق بعد خروجهم من مدينة طرابلس متجهين إلى مرزق. أيتليو موري، السابق ص36.

3- وفي هذا الصدد أشار جيمس ويللارد إلى أن بعثة أودني، دنهام وكلايرتون من الرحلات الأولى إلى أفريقيا وإلى عاصمة بورنو، وأن موقف ملكها كان وديًّا، حيث استقبلهم بكل حفاوة، كذلك حظوا باستقبال التجار العرب في تلك البلاد، السابق ص 222، أيضًا في هذا الصدد قام شيخ بورنو "محمد الأمين الكانيمي" بإرسال رسالة إلى ملك بريطانيا "جورج الرابع" بتاريخ 15 شهر ذي الحجّة 1239 هـ- أغسطس 1824م، أنه على استعداد لتقديم المساعدة للرحالة الميجور دنهام وكلايرتون وأودني، وإقامة علاقات تجارية مع إنجلترا. دنهام وكلابرتون وأودني، رحلة لاستكشاف أفريقيا، ترجمة عبدالله عبد الرازق إبراهيم، الجزء الثاني، القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، 2002م، ص236-237.

4- درنة: مدينة جميلة تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بإقليم برقة، وظهرت لأول مرة في كتب التاريخ باسم إيراسا، وكذلك عند المؤرخ الإغريقي هيرودوتس، ثم ظهرت في الكتب وبعض الخرائط درانس، وهو اسم إغريقي ثم بعد ذلك تم تحريف هذا الاسم إلى درنة. عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، بنغازي، دار الفضيل للنشر والتوزيع، 2009م، ص301-303.

وقد صرح بذلك الرحالة نفسه بقوله: ((حتى استقبلنا العديد من الخيالة وهم جنود تابعون للحكام في هذه البلدة حيث جاء على رأس المستقبلين))[1].

ومن صور وأوجه التعاون والمواقف الودية من نشاط هؤلاء الرحالة خاصة الإنجليز تزويد هؤلاء بكتاب يحمل توصية يحملونه أينما أقاموا أو سافروا، فقد أصدر يوسف باشا القرمانلي للرحالة الإنجليزي لاينج[2] كتابا ذكر فيه أن حامل الكتاب والتوصية هو الرحالة الإنجليزي لا ينج، يجب مساعدته من كافة الأمراء وأصدقاء الباشا في دواخل أفريقيا كافة، وكان ذلك بتاريخ 22 يونيو 1825م، كذلك توصية أخرى من ممثل الباشا محمد الدغيس بتاريخ 14 يونيو 1825م، وقد أشار إلى ذلك الرحالة نفسه برسالة إلى القنصل في طرابلس عن موقف الباشا وكرمه بقوله: وأرى لزمًا عليَّ أن أتقدم بشكري الجزيل مؤكدًا أنني سأستغل كل جهد شخصي -إن شاء الله- بما في ذلك الكتابة لتنوير حكومتي كي تأخذ فكرة صحيحة عن كرمه وسلوكه الأخلاقي أملاً أن يقابل بحسن الجزاء[3]، وعلى الأرجح هذا ما كان ينتظره يوسف باشا القرمانلي من أجل توطيد العلاقة مع الحكومة الإنجليزية نتيجة لأوضاع البلاد السيئة السياسية والاقتصادية، ولكن مساعي يوسف باشا وأهدافه من مساعدة هذا الرحالة فشلت حيث قتل لاينج على يد الطوارق[4]، وقامت مذكراته مما أدى

1- جان ريمون باشو، السابق ص135.

2- جوردون لاينج "1794-1826م": هو الرحالة الأسكتلندي إلكسندر جوردون وليام لاينج ولد في 27 ديسمبر 1794م في مدينة أدنبرة قتل على يد الطوارق في سنة 1826، فقد مذكراته ولم تبقَ إلا رسائله إلى قنصل بريطانيا وارنجتون، رحلتان عبر ليبيا، السابق ص 179-181.

3- السابق ص315- 363.

4- الطوارق: هي قبيلة نزحت من الشمال إلى الجنوب في القرن الرابع الميلادي، وانتشرت في المنطقة الممتدة بين غدامس وتمبكتو، الطوارق من سلالة قبيلة صنهاجة مادغيس ما عدا الهقار، وهم إخوة لهم ولكنهم ينحدرون من قبيلة هوارة القديمة، أي: من لمتونة صنهاجة، وينقسم الطوارق عمومًا إلى فئتين جنوبية وشمالية، ويسمون طوارق الجنوب كيو واوليمين، وينتشرون في المناطق التي بين آزين وإقليم النيجر في أفريقيا الوسطى، ويسمى طوارق الشمال هقار الذين ينتشرون في جبال الهقار جنوبي غرب غات، أما

إلى حدوث أزمة في العلاقات بين فرنسا وإنجلترا بسبب اتهام انجلترا للفرنسيين الذين كانوا في تشاد والنيجر ومالي والجزائر بإفشال الرحلة، كذلك مطالبة إنجلترا ليوسف باشا بالتحقيق في ظروف مقتل لاينج والحصول على مذكراته[1].

برغم أن موقف يوسف باشا كان حازمًا في أول اعتداء تعرض له هذا الرحالة في مدينة غدامس[2]، فقد أشار جيمس ريتشارد سون[3] أنه ((عند سرقة بندقية لا ينج قام الباشا يوسف باشا القرمانلي بفرض غرامة باهضة على سكان غدامس نتيجة تصرفاتهم السيئة ضد الرقيب لا ينج))[4].

و لم يقتصر هذا الموقف الودي على الرحالة الأوروبيين؛ بل شمل الرحالة العرب المغاربة على الرغم من قلة عددهم، فقد قام يوسف باشا بواجب الكرم والضيافة والحفاوة

الأزقر فهم يقطنون في غات وضواحيها والبركت وجانيت. محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، مكتبة التمور، بنغازي، 2007م، ص55-558.

1- شارل فيرو، السابق ص578 وما بعدها، وللمزيد حول ذلك انظر محمد الهادي أبو عجيلة، التنافس الإنجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، مجلة البحوث التاريخية، السنة الخامسة عشر، العدد الأول يناير 1993م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص172-171.

2- غدامس: مدينة ليبية تقع على الحدود الليبية التونسية وصفها الوزان في وصف أفريقيا أن غدامس منطقة كبيرة مسكونة، حيث القصور القديمة والقرى المأهولة ... على بعد حوالي ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، سكانها أغنياء لهم نخيل وأموال. عبد السلام محمد شلوف، السابق ص459.

3- جيمس ريتشارد سون "1806-1851م": هو رحالة إنجليزي ولد في مدينة لنكولن شابر في سنة 1806م، توفي في مدينة نجورتو في السودان في 4 مارس سنة 1851م، كان رجل دين مسيحي، كان له جهود في محاربة تجارة الرقيق، ملم باللغة العربية، حاول القيام برحلة إلى السودان في السنة " 1845-1846م" لمحاربة الرقيق، ولكنه توقف في غدامس في ليبيا لخطورة الطريق الصحراوي المتجه نحو السودان، اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس، دار العربية للكتاب، 1999م، ط: 2، ص469.

4- جيمس ريتشارد سون، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993م، ص191.

طيلة إقامة الرحالة أحمد بن طوير الجنة[1] أثناء مروره بطرابلس في رحلته إلى بلاد الحجاز سنة 1830م، وسهل له الإقامة ثم السفر إلى تونس، حيث كلف الحاج أحمد المقلوب بنقله معه على أحد مراكب الباشا معززًا مكرمًا [2]، كذلك قام بإرسال توصية إلى حـاكم تـونس بشأنه.

كما أشارت إلى تلك الحفاوة وثيقة محفوظة بدار المحفوظات التاريخية بطـرابلس على صورة رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى حسين باي تـونس بتـاريخ 6 شـوال 1247هـ-1830م يوصيه فيها بصاحب رحلة المنى والمنـة "1830-1831م" الرحالـة الموريتاني أحمد المصطفى بن طوير الجنة الشنقيطي[3]، وهذا ليس بالغريـب علـى الحكـام القرمانليين فقد حظي الرحالة المغاربة طوال القرن الثامن عشر الميلادي بكل احترام وتقدير سواء من المغرب أو موريتانيا، وهذا في إطار احترام الأخوة العربية الإسلامية والعلماء والطلبة والحجاج، كذلك العلاقات الودية التي تربط الأسرة القرمانلية بالأسرة الحاكمة في المغرب.

وهنا يجب أن لا نغفل أن موقف الوالي محمد على باشا[4] حاكم مصـر كـان لا يختلف عن موقف يوسف باشا القرمانلي مع الرحالة الأوروبيين، فقد ذكر القنصل الفرنسي

1- أحمد بن طوير الجنة "1787-1839م": هو الرحالة الموريتاني أحمد المصطفى بن طوير الجنة ينحـدر من سلالة أحمد أو عبد الرحمن الطائم، ينحدر من قبيلة "صيام" في موريتانيا، وقد ولد في عـام 1787م في مدينة أدرار من وادان شمالي موريتانيا الحالية وتوفي فيها 1839م، درس العلوم الشرعية واللغة العربية ألـف العديد من الكتب قام برحلة سنة 1834م. فرج دغيم، أحمد طوير الجنة ورحلته عبر ليبيـا، مجلـة كليـة الآداب والتربية، العددان 17-18 "1988 – 1989م"، جامعة قاريونس، ص18-19.

2- السابق ص19، 24.

3- عمار جحيدر، مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي "1711-1835م"، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م، ص109.

4- محمد علي باشا "1805-1849م": جندي ألباني حضر مع الحملة العثمانية لطرد الحملـة الفرنسـية على مصر 1798م، وبعد طرد الحملة وبالتعاون مع المصريين تم طرد الحملة الإنجليزيـة كـذلك 1807م

شارل فيرو[1] أن يوسف باشا القرمانلي تعاون مع محمد علي باشا في مساعدة واستقبال الرحالة باشو برسالة التوصية من محمد علي باشا إلى يوسف باشا لتسهيل رحلته في إقليم برقة، وهذا ما فعله الأخير[2]، بل أشار الرحالة الإنجليزي ليون إلى أنه بعد الاستقبال الودي من المسؤولين في مصر حيث قدموا له عرضًا بالتعاون في القيام برحلات لصالح محمد علي باشا بقوله: ((كما استقبلت من وزير محمد علي باشا الذي استفسر عن عدة أمور بعد تأكده من أجادتي اللغة العربية))، كما أضاف بأن محمد علي كان ينوي التعاون مع الرحالة الأوروبيين مقابل مبالغ مالية للقيام برحلة إلى غرب وجنوب مصر[3]، وهذا يدل أيضًا على الاهتمام المصري بحركة الكشوف[4] في جنوب وغرب مصر والبلاد الأفريقية.

حيث تم توليه للسلطة في مصر قبل ذلك عام 1805م. زاهية مصطفى قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م، ص346.

1- شارل فيرو، 1829-1888م: هو الدبلوماسي والسفير الفرنسي شارل فيرو، ولد في مدينة نيس بفرنسا في 5 فبراير سنة 1829م في أسرة عريفة، اشتغل في الجزائر في سنة 1845م، حيث كان يتقن اللغة العربية، عين سفيرًا في طرابلس في الفترة ما بين 1878-1884م، ثم نقل إلى المغرب فمثل الفرنسا حيث ظل هناك مرة أربع سنوات إلى أن توفي في طنجة بالمغرب في 19 ديسمبر سنة 1888م. شارل فيرو السابق، ص 16-17.

2- السابق ص556.

3- ع. ف ليون، السابق ص197.

4- مصر كانت الرائدة في المنطقة العربية في الكشوف الجغرافية والدليل على ذلك هو تأسيس الجمعية الجغرافية الخديوية في سنة 1875م في عهد الخديوي إسماعيل "1863 – 1879م"، التي كان أول رئيس لها الألماني الدكتور جورج شونفرت. عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، 1987م، ص163.

ثانيًا: موقف الحكام العثمانيين من نشاط الرحالة العرب والأوروبيين في ليبيا في الفترة ما بين "1835-1911م":

موقف الولاة العثمانيين من نشاط الرحالة الأوروبيين في ليبيا كان يختلف عن موقف الحكام القرمانليين في كثير من الأحيان، فقد كان موقف هؤلاء الولاة يختلف من دولة أوروبية إلى أخرى، وذلك حسب مصالح الدولة العثمانية والدولة الأوروبية السياسية والاقتصادية، وكذلك حسب مركز قوة كل دولة، وذلك في فترة شهدت تغيرات كثيرة في الوضع الدولي في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين بما في ذلك علاقات الدولة العثمانية بالدول الأوروبية.

وفي هذا الصدد أشار أتوري روسي بأن العثمانيين عند عودتهم إلى حكم ليبيا والقضاء على حكم القرمانليين سنة 1835م لم يقوموا بعرقلة نشاط الرحالة الأوروبيين لمدة عشر سنوات[1].

ولكي نصل إلى العديد من الحقائق المذكورة في المراجع الحديثة حول موقف الولاة العثمانيين من نشاط هؤلاء الرحالة كان من الأفضل الرجوع إلى العديد من الرحلات الأوروبية والعربية، وما أشار إليه هؤلاء الرحالة من موقف ولاة الدولة العثمانية في ليبيا، ونشاطهم طوال القرن التاسع عشر كشهود عيان موقف الولاة العثمانيين من نشاطهم.

فبعد عشر سنوات من عودة العثمانيين إلى ليبيا وصل الرحالة الإنجليزي جيمس رتيشار دسون في رحلة كشفية سنة 1845م، الذي أشار إلى حرص الوالي محمد أمين باشا "1842-1847م" على سلامته عندما أراد جيمس الرحيل من طرابلس إلى غدامس، فقد وردت أخبار عن اعتداءات بعض القبائل على القوافل والتجار، وعلل الباشا منع جيمس من الرحيل إلى غدامس إلى الحرارة الشديدة نتيجة لحلول فصل الصيف[2].

1- أتوري روسي، السابق ص 469-470.

2- جيمس ريتشار دسون، السابق ص41.

وقد تكرر هذا الموقف الودي مع الرحالة الإنجليزي جيمس هاملتون، وذلك بتأمين سلامة هذا الرحالة من قبل مدير واحة غدامس العثماني حافظ أفندي أثناء زيارته للواحة في سنة 1853م، وذلك باستضافته في خيمة خاصة في مكان آمن وجميل[1]، خوفًا عليه من خطر القبائل المتصارعة في تلك الفترة في الواحتين جالو وأوجلة.

وفي سنة 1865م تحدث جيرالد رولفس[2] عن موقف المسؤولين العثمانيين الودي في مدينة مرزق[3].

وعلى رأس هؤلاء الذين تحدَّث عنهم قائمقام[4] المدينة وخازندار القائمقامية وآمر الشرطة بالمدينة [5].

1- جيمس هاملتون، السابق ص212.

2- جيرالد رولفس "1831-1897م": هو رحالة ألماني، ولد في 14 إبريل 1831م، وتوفي في مايو 1897م كان ملمًّا بالجغرافيا والتاريخ واللغات ودرس الطب، قام بعدة رحلات، منها إلى مراكش، وسجلها في كتابه "صعود الأطلس الكبير واحات تافيلت"، ثم رحل من طرابلس إلى خليج غينيا، وسجلها في كتابه عن الرحلة "رحلة عبر أفريقيا". جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988م، ص27؛ كذلك جيرالد رولفس، رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002م، ص10.

3- مرزق: تقع في الجنوب الغربي لليبيا، وهي عاصمة إقليم فزان إلى سنة 1969م، وتعتبر ملتقى القوافل الصحراوية إلى أن أضمحلت تجارة القوافل الصحراوية.

4- قائمقام: هو رأس القضاء أكبر الوحدات الإدارية في اللواء، تعينه الحكومة العثمانية في أسطنبول مباشرة، وتتبعه عدد من الوحدات الإدارية تسمى النواحي، وهو المسؤول عن جميع الأمور الإدارية والحقوقية والقضائية والأمنية والمالية في قضائه، وهو آمر القوة العسكرية فيه. كامل علي مسعود الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م، ص63-64.

5- جيرالدرولفس، رحلة عبر إفريقيا، السابق ص255.

ومع مرور الوقت تغير الموقف، ففي سنة 1869م، كان موقف الوالي العثماني علي رضا باشا[1] "1867- 1870م" هو رفض زيارة الرحالة جوستاف ناختيجال[2] إلى الأراضي الليبية، وقد أشار إلى ذلك الرحالة فون مالستان[3] في كتابه "في رحاب طرابلس وتونس" ويبرر فون ذلك أن سبب هذا الرفض هو أن هذا الوالي كان يزاول تجارة الرقيق مع

1- الوالي علي رضا باشا كان جزائريًّا، انتقل مع أسرته طفلاً بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة1830م إلى مدينة الاستانة، ثم سافر للدراسة في فرنسا، حيث درس في المدرسة العسكرية الفرنسية خمس سنوات، ثم قضى ثلاث سنوات في المدرسة التطبيقية بمدينة "ميتز Metz "، وقد تولى السلطة في ليبيا على فترتين الأولى "1867-1870م" والثانية ما بين "1872-1873م". شارل فيرو، السابق ص706.

2- جوستاف ناختيجال "1834-1885م": هو الرحالة الألماني يعمل في الطب، ولد في قرية أيخستد بإقليم سكسونيا في 23 فبراير 1834م لأسرة متواضعة، وتوفي في 19 إبريل 1885م، درس الطب العسكري كان ملمًّا في اللغة العربية، تولى منصب القنصل في تونس ثم في أفريقيا الغربية، قام بعدة رحلات في بلاد السودان وأواسط أفريقيا، وأهم رحلاته هي من طرابلس إلى دار فور ثم إلى القاهرة "1869-1874 م". John Wright , OP. Cit. P 180

كذلك جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007 م، ص62، وكذلك شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1971م، ص410.

3- هينريش مالتسان "1826-1874 م": هو الرحالة الألماني البارون هينريش فون مالتسان ولد في مدينة درسدن في 6. 6. 1826م، ومات في يوم 22. 2. 1874م، درس القانون واللغة العربية والآثار في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، قام بداية من سنة 1851م برحلات لجميع الدول الأوروبية ثم زار فلسطين والمغرب والجزائر واليمن ومكة المكرمة وتونس، ورحلته إلى ليبيا كانت في سنة 1869م، قام بدراسة النقوش الفينيقية، أهم مؤلفاته هو كتاب "رحلة في أياليتي تونس وطرابلس الغرب". شارل فيرو، السابق ص712، نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1962، ص154، كذلك هينريش مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2008 م، ص14.

بورنو لحسابه الخاص، وخوفه من أن تصل أخبار هذه التجارة الممنوعة إلى أوروبا والدولة العثمانية[1].

وقد أشار الرحالة جوستاف إلى أن موقف الوالي علي رضا باشا تغير نحوه وقدم له المساعدة اللازمة للقيام برحلته إلى فزان وتيبستي بقوله: ((قام علي رضا باشا بمده بخطاب غير مغلق يحمل فرمان إلى المسئولين المحليين))[2]، كما أضاف جوستاف أنه قام بزيارات إلى المسئولين العثمانيين في طرابلس الذين استقبلوه بكل حفاوة وترحيب، وذلك بقوله: ((أن الزيارات التي قمنا بها إلى أصحاب المقامات الرفيعة من الدرجة الثانية والثالثة، مثل: المعين أو مساعد الباشا، أي: نائب الوالي والدافتر دار المسؤول عن الأمور المالية...))[3]، وهذا يعني أن المسؤولين العثمانيين كانوا غير رافضين لنشاط هؤلاء الرحالة في منتصف القرن التاسع عشر، خاصة الألمان منهم نتيجة للعلاقات الطيبة بين ألمانيا والدولة العثمانية.

وقد تغير موقف السلطات العثمانية في ليبيا والحكومة المركزية في ما بعد، عندما صدر فرمان من السلطان للرحالة جوستاف ناختيجال لمساعدته في رحلته إلى المناطق الإسلامية السودانية، وقد ذكر ذلك الرحالة الألماني البارون هينريش فون مالستان[4]، ويمكن أن يكون هذا الرفض سببه أن السلطات لم يكن لها رغبة في مساعدة هذه الرحلة نظرًا للشك والريبة من قبل السلطات في أهداف هؤلاء الرحالة الأوروبيين.

وفي سنة 1877م أصبحت الدولة العثمانية أكثر حذرًا وشكًّا ، ولم تعد تسمح إلاّ في حالات نادرة للرحالين الأوروبيين بالتوغل في دواخل البلاد، واستمرت هذه السياسة إلى

1- هيتريش فون مالستان، السابق ص 41-42.

2- جوستاف ناختيجال، فزان وتيبستي، ترجمة العربية الطيب الزبير المنصور، طرابلس، دار الفرجاني، 1996م، السابق ص28.

3- جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، السابق ص114.

4- فقد أشار فون مالستان أن الرحالة جوستاف ذكر في رسالته في 27 مارس سنة 1870م عند وصوله إلى مرزق في طريقه إلى بورنو والسودان أنه يشكو بمرارة لافتقاره إلى فرمان السلطان العثماني إلى سلاطين المناطق الإسلامية السودانية لاحترامه لهذا الفرمان. هيتريش فون مالستان، السابق. ص46-47.

أن غيرت سياستها في الأعوام الثلاثين الأخيرة من القرن التاسع عشر، ولكن كانت مقتصرة على المدن الساحلية[1] مثل ما حصل رحلة الرحالة الإنجليزي أدوارد ريا[2] سنة 1877م والتي اقتصرت على بعض المدن الساحلية لموقف السلطات العثمانية منها.

وعندما بدأ نشاط الرحالة الأوروبيين في بداية سنة 1897م كان الرحالة الألمان في المقدمة، ويمكن أن يكون ذلك نتيجة للتعاون[3] القائم بين ألمانيا والدولة العثمانية، ومن أوجه المعاملة الطيبة للرحالة الألمان أنه أُتمَّ استقبال الرحالة الألماني رولفس في سنة 1897م من قبل قائمقام بلدة سوكنة بكل ترحيب وقد أشار إلى ذلك الرحالة نفسه بقوله: ((استلمنا في واحد من أفضل شوارع سوكنة وأكثر الأحياء أرستقراطية بيتًا على درجة من اتساع وجد فيه جميع أفراد البعثة سكنًا مريحًا))[4]، وعلى الأرجح فإن العديد من رجال الحكم العثماني[5] في أسطنبول كانوا وراء الموقف الودي للرحالة الألمان.

1- أتيلو موري، السابق ص67، أيضًا فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، "د. ت"، ص171.

2- ففي الصدد ذكر الرحالة إدوارد ريا عند زيارته لمدينة الخمس عن ترحيب وتعاون حاكمها العثماني بقوله: ((وظهر القائد سريعًا، يبدو عليه المكر والذكاء ولقينا بترحاب ومودةٍ...)). مصطفى جودة، المغرب العربي، طرابلس ولبدة والقيروان في القرن التاسع عشر 1877م، أدوار دريا، ترجمة: طرابلس، دار الفرجاني، 1968م، ص53.

3- قام بين الدولتين تعاون واسع في تالمجلات الاقتصادية والفنية في السنوات الثلاثين التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى خاصة بعد الزيارة التي قام بها قيصر ألمانيا للدولة العثمانية سنتي "1889- 1898م". الجهاد الليبي خلال الحرب العالمية الأولى الدعوة والاستجابة، خالد حمود السعدون، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م، ص11.

4- جيرالد رولفس، رحلة إلى الكفرة، السابق ص30.

5- كان هؤلاء المسؤولون أغلبهم هم زعماء جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة بقيادة أنور باشا وزير الحربية كما ضمت عددًا من كبار ضباط الجيش، تدربوا على الأساليب القتالية الألمانية وتأثروا بمدرسيهم وزملائهم من الضباط الألمان، حيث كانوا يحبذون الانضمام إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. خالد حمدون السعدون، السابق ص10.

أما فيما يخص ما ذكره الرحالة العرب، فقد أشار الرحالة التونسي الحشائشي[1] في سنة 1896م إلى موقف السلطات العثمانية من الرحالة الأوروبيين بما نقله عن موقف قائمقام غدامس للأوروبيين بأنه أعطى أوامره بشأن معاملة التجار والرحالة بقوله: ((إن عليهم كلما أتى إلى بلادهم تاجر أو مستكشف أوروبي مهما كانت جنسية له احترامه وعدم إعاقته عن أعماله وإلا تعرضوا لعقاب شديد))[2].

أما في القرن العشرين وخاصة قبل الغزو الإيطالي في سنة 1911م فقد ذكر ياخيموفيتش أن موقف الولاة العثمانيين في هذه الفترة خاصة من الرحالة والبعثات الإيطالية هو الاعتراض على أساس أن هذه البعثات الكشفية إلى الولاية خاصة من عهد كل من الوالي رجب باشا "1904-1908م"، والوالي إبراهيم أدهم باشا "1910-1911م" كانت تقوم بأعمال التجسس المشبوهة[3]، وسبب هذا الموقف المعترض على وجود الرحالة الإيطاليين أن السلطات العثمانية أصبحت في نهاية القرن التاسع عشر على يقين بخطورة الأطماع الإيطالية في ليبيا وأن نشاط الرحالة هو أحد أدواتها.

1- محمد الحشائشي "1855-1912م": هو الرحالة التونسي محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، ويضاف إلى لقبه "كلمة الشريف"، ولد في تونس 12 يونيو 1855م، توفي في يوم الثلاثاء 2 ذي الحجة "1330هـ-1912م"، درس في جامع الزيتونة التفسير واللغة العربية ألف ما يقارب من أربعة عشر كتابًا ، ومنها مجلة السعادة العظمى، أما كتبه فهو "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"، والثاني "الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق"، وهما رحلتان عبر الأراضي الليبية. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، القاهرة، دار الفكر، 1989م، كذلك زكي مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م، ط: 2، ص144-145.

2- محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، علق عليها محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1988م، ص 11،139،167.

3- ياخيمو فيتش، الحرب التركية الإيطالية "1911-1912م"، ترجمة هاشم التكريتي، بنغازي، 1970، ص44.

ويتضح ذلك من الوقوف ضد الرحالة الفرنسيين، ولكنه أقل من الموقف من الرحالة الإيطاليين وقد صرح بذلك الرحالة الفرنسي هـ. م دوما ثويزو[1] في بداية القرن العشـــرين بقوله: ((على تركيا أن تفتح دون قيود مستعمراتها للرحالة الأجانب كما تفعل كل الدول المتحضرة))[2]، هذا هو المنطق المغلوط لذا دعاة فتح البلاد العربية للاستعمار الأوروبي بحجة الحضارة وغيرها من المبررات الاستعمارية.

وعلى العكس من ذلك فقد قدم رجب باشا[3] للبعثة اليهودية[4] الحماية والمساعدة بواسطة أمين سره الخاص اليهودي يعقوب كريجر أفندي، وفي هذا يقول رئيس البعثة: ((فقد تفضل أيضًا بالسماح لأمين سره الخاص يعقوب كريجر أفندي بمصاحبتنا إلى درنة وتقـــدمنا شخصيًّا إلى السلطات المحلية هناك، وهنا يجدر بنا أن نسجل شكرنا للسيد كريجـــر علـــى

1- الرحالة دوماثريزو: هو الرحالة الفرنسي هنري مهيز دي ماثيزو، قام بثلاث رحلات عـــبر الأراضـــي الليبية الشمالية بداية من سنة 1901 حتى 1906م زار العديد من المدن والقرى في غرب وشـــرق ليبيـــا التجارية والأثرية. مصطفى عبد الله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967 م، ص60. كذلك هـ. م. دي. ماثويزو، عبر طرابلس طرابلس، ترجمة: جاد الله عـــزوز الطلحي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006م، ص12.

2- السابق ص197.

3- الوالي رجب باشا: تولى السلطة في طرابلس الغرب في الفترة ما بين "1904- 1908م"، وقد كـــان أحد زعماء تركيا الفتاه حيث تولى وزيرًا للحربية في الحكومة التي كونتها هذه الجمعية، ولكنه لم يلبث في منصبه إلا مدة قصيرة، حيث توفى فجأة في 16 أغســـطس 1908م في مقـــر عملـــه. شـــارل فـــيرو، السابق ص489.

4- البعثة اليهودية: هي البعثة اليهودية إلى إقليم برقة التي وصلت إليه في سنة 1908م، لدراسته من الناحية الجغرافية والمقومات الاقتصادية وكل ما يتطلب لأقامة وطن قومي لليهود، وكـــان برئاســـة جـــي دبليـــو جرجوري الأستاذ في علم الهندسة، وعضوية عدد من الخبراء في المياه والزراعـــة والمعـــادن. فرانشيســـكو روفيري، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية الكرونولوجي لبرقة "1551-1911م"، ترجمة: إبراهيم أحمـــد المهدوي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية والمعهد الإيطالي لأفريقيا والشـــرق، 2003 م، ص170، كذلك أتيليو موري، السابق ص79.

مساعداته الجمة وصداقته المجزية))[1]، وإلى جانب موقف العثمانيين في شخص الوالي رجب باشا في أيّام حكم السلطان عبد الحميد الثاني[2] "1876-1909م" والتناقض الواضح بين موقف الأتراك من مشروع الصهيونية العالمية في فلسطين ومن مشروعها في إقليم برقة، وهنا لا نغفل النفوذ اليهودي في طرابلس، وهو اليهودي يعقوب كريجر أفندي، وهنا نرى الموقف المتناقض من الأطماع اليهودية في برقة هو موقف الدولة العثمانية المعارض من الأطماع اليهود في فلسطين أمام العالم الإسلامي "كدولة خلافة" وحامية للأراضي المقدسة، كذلك أنها كانت تحشد التأييد لها من مخاطر نشوب حرب عالمية أولى.

أما موقف السلطات العثمانية في ليبيا من الرحالة الألمان فقد استمر وديًّا وطيبًا من هؤلاء، ومن ذلك أنه عندما قام الرحالة الألماني غوتلوب كراوزه[3] برحلته إلى ليبيا، استطاع

1- المشروع الاستيطاني اليهودي في برقة، ترجمة الهادي أبو لقمة، خالد الشناوي، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975م، ص50.

2- موقف السلطان عبد الحميد الثاني "1876-1909م"، وتصريحاته للمنظمة الصهيونية يعطي اليهود في أنهم أحرار في اختيار موقع مناسب لهم في ممتلكات الدولة العثمانية العربية فقد كان موقفه كالآتي: ((أعلم المنطقة الصهيونية في شخص المبعوث اليهودي "أوليفانت" بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة غير فلسطين)). منصور عبد الحكيم، السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه آخر السلاطين المحترمين، القاهرة: دار الكتاب العربي، 2010م، ص434.

3- غوتلوب كراوزه "1850–1938م": هو الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه ولد في ألمانيا 1850م، وتوفي في مدينة زيورخ سنة 1938م، قام بدراسة العلوم الطبيعية، ثم درس وأتقن بعض اللغات الأفريقية على رأسها اللغة العربية والهوسا، ألف عدة مؤلفات حول هذه اللغات واللهجات الأفريقية والحروب الاستعمارية الإيطالية في ليبيا، قام بثلاث رحلات إلى ليبيا في الفترة ما بين 1878-1912م. غوتلوب أدولف كراوزه، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م، ص20.

تكوين علاقة طيبة مع المسؤولين في الإدارة العثمانية وعلى رأسهم رئيس البلديـة حسـونة القرمانلي، مما ساعده على تكوين هذه العلاقة هو إتقانه للُّغة العربية[1].

وقبل الغزو الإيطالي لليبيا، أي في سنة 1910م استمر الموقف العثماني في الموافقة والمساندة للرحالة الأوروبيين غير الإيطاليين في زيارة ليبيا، فقـد أشـار الرحالـة هـانس فيشر[2]إلى المعاملة الودية من وإلى إقليم فزان عند وصوله إليها في سـنة 1910م بقولـه: ((وبمجرد أن استقرت بداري الجديدة بعث إلى الحاكم أو المتصرف على فـزان عـارف حكمت، وسامي بيه الرجل الذي يطالع بودلير في السوق للقيام بدور مترجمي وليقدم لي أي مساعدة أحتاجها))، كذلك أشار إلى كرم ضيافة المسؤوليين العثمانيين فأضاف ((وانهالت علينا أطباق اللحم والخضروات ومختلف أنواع الحلوى والثمور الطازجة من كـل حـدب وصوب، و لم أذكر أن وجدت استقبالاً كهذا في أي مكانٍ))[3].

وقد أشار الرحالة الإيطاليون بهذا الموقف العثماني منهم، فهذا الرحالـة الإيطـالي السناتور جيكو موري "Sanator Giacomo De Martino" الذي أشار عند زيارتـه إلى إقليم برقة في سنة 1910م إلى موقف الدولة العثمانية المعارض لقيام الرحالـة الإيطـاليين بالتجول في الأراضي الليبية خاصة الجنوبية، فقد ورد في كتابه "شحات وقرطاجة " بقولـه: ((إن قورينا التي تقع على خطوة من أوروبا على بحر كان مهد الحضارة والفنون والعلـوم

1- تقارير غوتلوب كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي لليبيا، عماد الدين غانم، طرابلس، مركز جهـاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993م، ص63.

2- هانس فيشر: هو الرحالة السويسري الذي كان يحمل الجنسية الإنجليزية، عاش وتعلم في إنجلترا، قـام برحلته في الأراضي الليبية سنة 1906م، عمل موظفًا في الإدارة الإنجليزية في شمـال نيجيريـا، أعطـى معلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية في ليبيـا في سـنة 1906م. أتيليـو مـوري، السـابق، ص78-79، كذلك المختار في مراجع ليبيـا، الجـزء الثـاني، مصـطفى عبـد الله بعيـو، السـابق، ص204-205.

3- عبر الصحراء الكبرى 1910م، هانس فيشر، ترجمـة: الطيـب الـزبير، دار الفرجـاني، "د. ت"، ص115-116.

مغلقة في وجه الأوروبيين، وتعيش في همجية كاملة))[1]، فهذا الرحالة كان يدعو الإيطاليين لاحتلال الأراضي الليبية، وأعطى مقارنة بين الفهود الرومانية والأفريقية والعهد العثماني الذي يصف أحوال البلاد تحت الحكم العثماني أنها كانت مختلفة، وهي دعوة لإحياء الإمبراطورية الرومانية في ليبيا.

ثالثًا: موقف السلطات الاستعمارية الإيطالية من الرحالة الأوروبيين "1911-1923م":

أما فيما يخص موقف السلطات الاستعمارية الإيطالية في فترة بداية الغزو على ليبيا سنة 1911م، فبعد ما كانت الدوائر الاستعمارية الإيطالية تدين موقف السلطات العثمانية في منعها للرحالة الإيطاليين الذين كانت تغلب على دوافع رحلاتهم الاستعمارية والدعاية الواضحة لاستعمار ليبيا كما اتضح مما سبق، أصبحت ضد نشاط هؤلاء بكل قوة.

فقد قامت إيطاليا بالتضييق على الرحالة الأوروبيين بكل الوسائل، والسبب في ذلك أنها وجدت أمامها من يحاول كشف الحقائق وإرسالها إلى الصحف والرأي العام الأوروبي، وهم الرحالة الألمان بوصفهم كانوا رحالة وصحفيين من دولة معادية لها، ومن ذلك تعرض الرحالة الألماني غوتلوب كراوزه إلى خطر الموت عدة مرات في مدينة طرابلس سنة 1911م نتيجة التهديد بالقتل من قبل الجنود الإيطاليين، الذين قاموا بنهب بيته وسرقة مذكراته أثناء العمليات العسكرية للاستيلاء على مدينة طرابلس[2].

كان ذلك بخلاف ما كان يطالب به الإيطاليون قبل الحرب بالسماح للرحالة الإيطاليين وغيرهم من الأوروبيين بمزاولة نشاطهم في الأراضي الليبية وعبورهم إلى المناطق الأفريقية ما وراء الصحراء، وبهذا انكشفت أهداف الحكومة الإيطالية من إرسال الرحالة، وأن أهدافها كانت استعمارية، وليست علمية أو إنسانية كما كانت حجتها.

خلاصة القول: إن موقف السلطات التي حكمت ليبيا في الفترة ما بين "1798–1923م" وهي الفترة التي شهدت تطورات سياسية كبيرة ومتغيرة في شمال

1- المشروع الاستيطاني اليهودي في برقة، السابق ص10.

2- تقارير غوتلوب كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي لليبيا، عماد الدين غانم، السابق ص104.

أفريقيا، مثل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر، وكذلك وصول أعداد لابأس بها من الرحالة خاصة الأوروبيين، كانت متغيرة، وفيما يخص الفترة المتأخرة من حكم الأسـرة القرمانليـة كانت العلاقة ودية مع هؤلاء الرحالة من قبل السلطات نتيجة للأوضاع السياسة والاقتصادية الاجتماعية والثورات الداخلية المتواصلة التي شهدتها البلاد والتدخل الخارجي الأوروبي الذي كان من أهدافه الوصول إلى وسط القارة الأفريقية في مجال السياسة الاستعمارية الأوروبيـة تجاه القارة في القرن التاسع عشر الميلادي.

وكذلك يتضح مما سبق التغيير في سياسة الدولة العثمانية بواسطة ولاتها في ليبيا تجاه الرحالة الأوروبيين والعرب في بداية العهد العثماني الثاني "1835-1911م" واختلافها عن سياستها في آخر هذا العهد عن أوله، وذلك بعد انكشاف أهداف هؤلاء الرحالة، ولكن كان موقفها يختلف من رحالة دولة إلى أخرى حسب علاقة دولته بالدولة العثمانية، فكان الرفض الشديد لنشاط الرحالة الإيطاليين، والتساهل مع الرحالة الألمان، ولكن من جهة أخرى كان واضحًا الموقف العثماني المتخادل، بل المتآمر على الأطماع الصهيونية في إقليم برقة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1- الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد الطوارق، محمد بن عثمان الحشائشي، علق عليها: محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1988م.

ثانياً: المصادر الأجنبية المترجمة:

1- الأخوان بيتشي والساحل الليبي "1821 – 1822م"، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1996م.

2- إدوارد ريا، المغرب العربي، طرابلس ولبدة والقيروان، في القرن التاسع عشر، 1877م، بنغازي ، جامعة قاريونس، "د، ت".

3- باولو ديلا شيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة 1817م، بنغازي، جامعة قار يونس، "د، ت".

4- تقارير غوتلوب أدولف كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993م.

5- جان ريمون باشو، رواية إلى مرمرة وقورينا وواحتي أوجلة ومرادة، تعريب: مفتاح عبدالله الميسوري، بيروت، دار الجبل، 1999م.

6- جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007م.

7- جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، سبها، مركز الدراسات الأفريقية، 1988م.

8- جيمس ريتشارد سون، ترحال في الصحراء، ترجمة: الهادي مصطفى أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1993م.

9- جيمس هاملتون، جولات في شمال أفريقيا، تعريب: المبروك محمد الصويعي، طرابلس، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، "د، ت".

10- دنهام وكلابرتون وأودني، رحلة لاستكشاف أفريقيا، الجزء الأول، ترجمة: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2002م.
11- دي ماثويزو، عبر طرابلس الغرب، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2006م.
12- رحلتان عبر ليبيا، طرابلس، دار مكتبة الفرجاني، 1974م.
13- رحلة إلى الكفرة، دراسة وترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م.
14- رحلة من طرابلس إلى الإسكندرية، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2002م.
15- رحلة لاستكشاف أفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة: عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة 2002م.
16- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية، 1993م.
17- ع. ف. ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1992م.
18- غوتلوب أدولف كراوزه،الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م.
19- فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع البرقاوية الكرونولوجي لبرقة "1551-1911م"، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية والمعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق، 2003 م.
20- فزان وتبستي، ترجمه للعربية: الطيب الزبير المنصور، طرابلس، دار الفرجاني، 1996م.
21- مشروع الاستيطان اليهودي في برقة، ترجمة الهادي أبو لقمة، خالد الشناوي، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975م.

22- هانس فيشر، عبر الصحراء الكبرى 1910 م، ترجمة: الطيب الزبير، طرابلس، دار الفرجاني، "د، ت".

23- هينرش فون مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2008م.

ثالثاً: المراجع العربية:

1- خالد حمود السعدون، الجهاد الليبي خلال الحرب العالمية الأولى، الدعوة والاستجابة، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م.

2- زاهية مصطفى قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت دار النهضة العربية، 1985م.

3- عمار جحيدر، مصادر دراسة الحياة الفكرية في ليبيا في العهد القرمانلي، 1711–1835م، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م.

4- عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، بنغازي، دار الفضيل للنشر والتوزيع، 2009م.

5- عبدالرحمن الرفاعي عصر اسماعيل، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، 1987م.

6- قاسم الجميلي، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2003م.

7- كامل مسعود الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م.

8- مصطفى عبدالله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الجزء الثاني، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1967م.

9- منصور عبد الحكيم، السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه آخر السلاطين المحترمين، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2010م.

10- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1962م.

11- شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1971م.

رابعاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

1- أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1999م،

2- أتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، تعريب: خليفة محمد التليسي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م.

3- باخيموفيتش، الحرب التركية الإيطالية، 1911-1912م، ترجمة: هاشم التكريتي، بنغازي، 1970م.

4- جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967م.

5- رودلفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم القرمانلي، القاهرة، معهد الدراسات العربية العليا، 1961م.

6- رولاندو أوليفر، أنتوني اتمور، أفريقيا منذ عام 1800م، ترجمة: فريد جورج يوري، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة 2005م.

7- فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب: خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، 1971م.

8- ماريو غرسو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1989م.

خامسا: المراجع الأجنبية:

1- John Wright , Travllers in Libya , Siphium Press , 2005.

سادسًا: المجلات العلمية:

1- خالد محمد الهدار، زيارة الرحالة الإسباني علي بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة والعشرون، العددان الأول والثاني، مسلسل (49-50) طرابلس، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، 2003م.

2- فرج دغيم، أحمد طوير الجنة ورحلته عبر ليبيا، مجلة كلية الآداب والتربية، العددان 17 – 18 (1988-1989م) جامعة قاريونس.

3- محمد الهادي أبو عجيلة، التنافس الإنجليزي الفرنسي حول ليبيا في عهد يوسف باشا القرمانلي، مجلة البحوث التاريخية، ا لسنة الخامسة عشر، العدد الأول، يناير، 1993م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

سابعًا: المعاجم والقواميس والأعلام:

1- زكي مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجري، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994 م، الطبعة الثانية.

2- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، القاهرة، دار الفكر، 1984م.

3- محمد عبد الرزاق مناع، الأنساب العربية في ليبيا، مكتبة التمور، بنغازي، 2007م.